التمهيد

بواعث كتابة السيرة الذاتية

أ – بواعث علمية وثقافية

ب– بواعث سياسية

ج– بواعث اجتماعية واقتصادية.

obeikandl.com

مدخل:

يستمد أدب السيرة الذاتية جاذبيته لمضامينه الإنسانية، بما تحتويه النفس البشرية من مظاهر القوة والضعف والجمال والقبح والشجاعة والنبل والضعة والدناءة والخوف، ونحوها من الصفات الإنسانية.

وقد علّل إحسان عباس قرب السيرة الذاتية من جمهور القراء؛ لإثارتها رغبة الكشف عن عوالم النفس المجهولة، بإيجادها رابطة بين مؤلفها وقارئها، تدفع الأخير لاستجلاء حوادث السيرة بما تقتضيه من مواقف –أياً ما كانت– بروح الصديق(١).

أصالة المفهوم:

كلمة (سيرة) من المادة اللغوية (س ا ر)، ومفهوم كلمة السِّيرة في اللغة مُحدد في شتى المصادر اللغوية.

- ففي معجم مقاييس اللغة لابن فارس:

سير: أصل يدل على مضيٍّ وجريان، يقال سار يسير سيراً(٢).

والسيرة: الطريقة في الشيء، والسُّنة، لأنها تسير وتجري.

---

(١) انظر: فن السيرة. إحسان عباس. دار الثقافة، بيروت (د.ت). ١٠١.
(٢) معجم مقاييس اللغة، (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)) تحقيق: عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية- قم، إيران- (د.ت). مج ٣ / ١٢٠.

obeikandl.com

- وفي كتاب المغرب للمطرزي: (سار) من بلد إلى بلد سيراً ومسيراً.

والسيرة: الطريقة والمذهب، وجمعها سِيَر (وقوله): ثم تنشر الملائكة (سيرته)، أي صحيفة أعماله وطاعاته[١].

- وهي في مختار الصحاح للرازي:

السيِّرة: الطريقة، يقال (سار) بهم سيرة حسنة[٢].

*****

والسيرة اصطلاحاً عبّر عنها الإنجليزي توماس كارليل بإيجاز وتركيز، فقال " السيرة حياة الإنسان "[٣]

وعبر عنها فيلب ليجون فقال: " نوع من الأدب الشخصي، هي كتابة قصة الحياة الخاصة."[١]

---

(١) المغرب في ترتيب المعرب، (أبو الفتح ناصر بن عبد السيد بن علي المطرزي ت ٦١٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ٢٤٢.

(٢) مختار الصحاح، (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت٦٦٦هـ)، دار الدعوة، إسطنبول، تركيا ١٤٠٨هـ، ٣٢٥.

(٣) دليل الناقد الأدبي ، نبيل راغب ، مكتبة غريب ، القاهرة (د.ت) ، ١٢١.

obeikandl.com

وبقدر ما اتفقت القواميس اللغوية على تحديد معنى السيرة، اختلفت التعريفات الأدبية الحديثة على تعريف مُحدد لهذا الفن، وما يميزه عن غيره من المصطلحات، كالفرق مثلاً بين السيرة والترجمة. وكل يدلو بدلوه بحسب ما يراه ويفضله.

ففي إحدى تعريفات السيرة:

"أدب البحث عن الذات، وكشفها للنفس وللآخرين. ذلك أنها تقدم صورة ذاتية مختلفة الأبعاد لشخصية المؤلف، سواء كانت هذه الأبعاد واعية أو لا واعية"(٢).

ويعوّل هذا التعريف الرؤية على الغاية الأساسية للسيرة، بجعلها البحث عن الذات/ النفس. وكشفها لصاحبها وللآخرين من خلال دراسة دلالات أبعاد الصورة المدروسة.

وفي إحدى تعريفات الترجمة الذاتية:

---

(٤) في طفولتي، دراسة في السيرة الذاتية العربية ، تيتز رووكي ، ترجمة: طلعت الشايب ، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة ٢٠٠٢م ، ٦٩.

(٢) دليل الناقد الأدبي ،١٢١.

obeikandl.com

"هي أن يكتب المرء بنفسه تاريخ نفسه، فيسجل حوادثه وأخباره، ويسرد أعماله وآثاره، ويذكر أيام طفولته وشبابه وكهولته، وما جرى له فيها من أحداث تعظم وتضؤل، تبعاً لأهميته"(١).

وعامل الزمن بحسب هذا التعريف حلقة أساسية في سلسلة تكـــوّن وتدرج الأحداث والأشخاص، مما يجعله سرداً تاريخياً بالدرجة الأولى. ويترك مهمة تعميق الأثر النفسي للأحداث للقارئ، عبر إشارات تعظـــم وتصغر حسب أهميتها لدى المؤلف.

وهو ما يجعل المهمة على شيء من الصعوبة، إذ تتطلب قارئاً ذا بصيرة نافذة، وناقداً متفحصاً. لما قد تنطوي عليه الإشارات المختزلـــة لأكثر من تفسير،وهو ما لا أراه في مصلحة القارئ الباحث عن الحقيقة.

وقد أسهمت هذه الاختلافات في تعريف (السيرة) بإثراء هذا اللون الأدبي وتأصيله في الأدبين العربي والغربي.

فالبحث في نشأة فن السيرة يدل دلالة قاطعة على قِدم هذا الفن في التراث العربي، خاصة السيرة الغيرية، وتزخر كتب التراجم والطبقـــات بتراجم مثل: الطبقات الكبرى لابن سعد (ت٢٢٠هـــ)، ومعجم الأدبـــاء لياقوت الحموي (ت٦٢٣)، و وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان (ت٦٨١).

(١) التراجم والسير، محمد عبد الغني حسن، دار المعارف، القاهرة، (د،ت)، ٢٣.

obeikandl.com

أما ما يخص السيرة الذاتية فقد وُجدت كذلك في التراث العربي عند أسامة بن منقذ في كتابه (الاعتبار).

كذلك عُرف هذا الفن في التراث الغربي بأشكاله المتنوعة، من يوميات ومذكرات واعترافات... إلخ.. بدءاً من اعترافات القديس أوغسطين (ت٤٣٠م)، مروراً باعترافات جان جاك روسو (ت١٧٧٨م) وحتى عصرنا الحاضر.

ولا يشكّل مصطلحا السيرة والترجمة إشكالاً لدي، سواء بالفن أو الموضوع، حيث تتقارب الدلالة الذهنية لهما في سياق موضوعي واحد، ورغم هذا التقارب الذهني والدلالي، فإن كلمة (سيرة) أقدم في التراث العربي من كلمة (ترجمة) [١].

- وأرى أن عدم أو ندرة وجود دراسات فنية متخصصة لهذا الفن عند النقاد القدامى، كان سبباً مباشراً لإيجاد الدراسات النقدية والأدبية الحديثة، فيما يتعلق بهذين المصطلحين، وكل ما يتعلق بهما، من حيث التقصي التاريخي في الوجود والنشأة والتطور، وفي القوالب الفنية المتعددة

******

(١) السيرة تاريخ وفن. ماهر حسن فهمي. دار القلم، الكويت ط٥/ ١٤٠٣هـ،٢.

obeikandl.com

- من مميزات هذا الأدب الجميل قدرته على التشكل في مختلف الفنون الأدبية من قصة ومقالة ورواية، ولهذا سأدرس أدب السيرة الذاتية في أشكالها الفنية المتنوعة، في السِير الكاملة والجزئية واليوميات والاعترافات، وسأدرس كذلك الأشكال الفنية الأخرى التي تتضمن جانباً أصيلاً من السيرة الذاتية، مثل الرسائل الشخصية وأدب الرحلات.

وتمثل اعترافات **جان جاك روسو**[1]، علامة رائدة في الرؤية الفنية المبكرة لهذا الأدب.

وقد شبّه الدكتور عبد العزيز شرف كتاب **(المنقذ من الضلال)** للإمام **أبي حامد الغزالي** بأدب اعترافي، في وصف الغزالي للأزمة النفسية التي تعرض لها في أثناء بحثه عن الموازين الثابتة والصادقة

---

(١) جان جاك روسو: (١٧١٢-١٧٧٨م) مفكر سويسري من أصول فرنسية، مؤسس للضمير الحر في أوربا عبر كتبه ومشوار حياته، عاش معارضاً للنظام الاجتماعي القائم في عصره، مشيراً إلى دور الشعب كأساس للديمقراطية الحقة، اشتهر بكتابه (الاعترافات) الذي تحدث فيه عن خفايا نفسه دون أي قيد، وعن نشأته وأسفاره وتنقلاته وأثرها على نفسه المتمردة على التقاليد العامة والبحث عن تحقيق الذات ورفض التذلل للسلطة، وهو الأمر الذي لا يزال يشكل جزءاً من الفهم العام لما يجب أن يكون عليه الفنانون والكتاب والشعراء.
من آثاره:
- الاعترافات.
- العقد الاجتماعي.
انظر:
المواقع الإلكترونية:
- الموسوعة الحرة ويكيبديا.
- منتدى المثقفين المغاربة.
- موقع موسوعة دهشة.

obeikandi.com

للحقيقة[1]، وبخصوص السيرة الجزئية أو الجانبية، فهي تتطرق إلى سيرة حياة كاتبها في مرحلة من مراحل حياته دون سواها[2]، مثل من يسافر للغرب للتحصيل العلمي، فيكتب سيرة أدبية لهذه المرحلة من عمره، مثل رحلة رضوى عاشور، وهالة سرحان، إلى الولايات المتحدة؛ لتحضير درجة –الدكتوراه–.

كذلك تصف الرسائل الشخصية جوانب حيوية لكاتبيها، كرسائل الشاعر العراقي بدر شاكر السياب إلى أصدقائه، والتي نُشرت مجموعة فيما بعد في كتاب أصدره أحد أصدقاء السياب[3]، ونستدل من رسائله تلك على أكثر من جانب لشخصية السياب، مثل جانب الفقر والحاجة على سبيل المثال.

ونجد في أدب الرحلات كذلك أكثر من وجه إنساني لأصحابها، خاصة عندما تختلط المشاهدات السياحية بقصص ومشاعر كاتبها، فتتداعى أحاسيسه في عملية إبداعية صادقة يكشف فيها عن مكنوناته وخباياه.

---

(١) أدب السيرة الذاتية. عبد العزيز شرف. الشركة المصرية العالمية للنشر، ط ١/ ١٩٩٢م، ١٠٧.

(٢) السيرة الذاتية، الحد والمفهوم. أحمد علي آل مريع. نادي أبها الأدبي ط١ / ١٤٢٤ه. ٧٣ وما بعدها.

(٣) انظر: رسائل السياب، ماجد السامرائي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط ٢ / ١٤١٤ هـ.

obeikandi.com

فأغلب هذه الفنون متلبَسة بأدب السيرة، وتحوي جوانب مهمة من حياة كاتبيها، فالذكريات تتشابه مع أدب السيرة في قصَّ مراحل من حياته، غير أنها تحفل كثيراً بذكر الأماكن والمناسبات والأشخاص والمجتمع، ويكون كل هذا على حساب الجانب الشخصي للكاتب[١].

أما اليوميات، فتتركز أهميتها في إثبات دقائق الأحداث والمستجدات اليومية بصورة تسجيلية، وبرغم عدم وجود النظرة العميقة المتولدة من عامل الزمن القادر على فحص التجربة من جوانبها المتعددة، بعد أن يكون مرور الزمن "قد فعل فعله" [٢] في صقل النظرة الفاحصة للحكم على –التجربة/ الحدث، إلا إن اليوميات تعدّ مصدراً ووجهاً عاكساً من أوجه السيرة.

وغالباً ما تحمل الاعترافات كشفاً للحقيقة إلى حد الافتضاح[٣]، وهو ما لا أراه ولا أحبذه في قصَّ حقائق الحياة، ولكنها منتشرة في الغرب وينشرونها علناً رغبة في التطهر من آثام وموبقات ارتكبها أصحابها سابقاً، ويبدو أن مفهوم الاعتراف مألوف في الغرب، حيث يعترف الشخص أمام الكاهن في الكنيسة بما اجترحه في حياته من سيئات وذنوب[٤]. ويعتقد بعض مؤرخي هذا الجنس الأدبي في التراث

---

(١) انظر: السيرة الذاتية. الحد والمفهوم،٥١.
(٢) السيرة الذاتية. جورج ماي. تعريب: محمد القاضي وعبدالله صول، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، تونس، ١٩٩٢م، ١٦٣.
(٣) انظر: الترجمة في الأدب العربي الحديث. يحيى عبدالدايم. دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٧٤م، ١٧.
(٤)انظر: السيرة الذاتية، الحد والمفهوم، ٤٩.

obeikandi.com

الغربي أن السيرة الذاتية ما هي إلا امتداد طبعي لمبدأ الاعتراف الكنسي في التقاليد المسيحية[1].

******

بواعث كتابة السيرة الذاتية:

أ –إن نشدان الحقيقة وجلاءها أمام الآخرين غاية قوية بـــذاتها، لكتابـــة سيرة حياة.

ولا أعني بالحقيقة كل شيء حرفياً، وإنما جملة الحقائق المكونـــة لسير خط حياة المؤلف –وأتحدث هنا بصفتي المحافظة كمسلمة– ذلـــك أن مفهوم الحقيقة يختلف من شخصية لأخرى، فهناك من لا يبخل فـــي كتابة سيرته بذكر ووصف دقائق الأمور حتى المخجلة منهـــا والفجـــة، فالمفهوم إذن يختلف من إنسان لآخر، مما يجعله إشكالية فلســـفية قابلـــة للثراء والتنوع ثقافياً وتاريخياً.

******

(١) انظر مقدمة كتاب: فن التراجم والسير الذاتية، أندريه موروا، ترجمة وتقديم: أحمد درويش، المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة ١٩٩٠م ، ٧.

obeikandi.com

ب -من البدهي أن يعمد الإنسان إلى تخليد ذكره لإبقاء اسمه ومآثره، يقول أحمد شوقي:

دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوان

فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها فالذكر للإنسان عمر ثان[1]

ومن البدهي كذلك أن يزرع الإنسان نبتة؛ ليرعاها غيره، سواء كانت هذه النبتة حرفة ما، أم عملاً أدبياً، يقرأه الآخرون، ويستمدون منه الحكمة التي استخلصها صاحبها من مجموع تجاربه وخبراته، ولا سيما إذا كان هذا الإنسان شخصية عامة ومؤثرة فيمن حولها، وعلى هذا فمن حق أي إنسان يرى في مشوار حياته مادة إنسانية مشوقة، أن يكتب سيرته الذاتية أكان ذلك بدافع شخصي محض، أم بتشجيع من حوله من المعارف والأصدقاء، ولا يشترط – في رأيي- أن تُصاغ هذه السيرة بالأسلوب الأدبي الرشيق، ذلك أن مستوى الأساليب الإنشائية، يختلف باختلاف أصحابها، ومن هذه الاختلافات تتفاوت القيمة الأدبية لهذه السير، وتتنوع البواعث الدافعة لكتابة السيرة، فالتجارب الروحية العميقة، تكاد تكون من أقوى هذه البواعث، مثل تجربة اعتناق دين جديد، كتجربة الملاكم الأمريكي محمد علي كلاي، فتجربته جديرة بالفعل بالكتابة، بل إن هنالك أفلاماً وبرامج وحوارات مطولة شاهدتها عنه، وتأثرت بها شخصياً، فقد حقق هذا الملاكم الذي اشتهر بأنه يدور

(١) ديوان (الشوقيات). أحمد شوقي (ت ١٩٣٢م). دار الكتاب العربي، بيروت ط١١/ ١٤٠٦هـ، الجزء الثالث،١٥٨.

obeikandl.com

كالفراشة، ويلسع كالنحلة، أرقاماً قياسية في مجاله الرياضي، وقد شرح في كتابه تجربة اعتناقه للإسلام، وكيف تغيرت حياته رأساً على عقب للأفضل والأجمل، وتبدلت نظرته إلى الحياة.

ومن هذا الجانب نطالع تجربة الدكتور/ **مصطفى محمود**[1]، في كتابه **(رحلتي من الشك إلى الإيمان)**.

وقد مرّ المفكر والطبيب مصطفى محمود في عاصفة الشك سنوات طوال.. وفي قراءة أشهر كتبه عن هذه المرحلة العصيبة من حياته (رحلتي من الشك إلى الإيمان)، وجدتني التمس له العذر إلى درجة كبيرة، فليس بالضرورة كون كل مسلم نشأ نشأة إيمانية متينة...

---

(١) مصطفى كمال محمود حسين آل محفوظ (١٩٢١-٢٠٠٩م)، من الأشراف وينتهي نسبه إلى علي زين العابدين.
طبيب ومفكر وكاتب وفيلسوف، عاش طيلة حياته مفكراً في ملكوت الله في الحياة والإنسان، ومر بتجربة روحية طويلة في دوامة التساؤلات والحيرة عن الوجود والخلق والخالق، وانتهت حيرته بفضل الله تعالى إلى شاطئ اليقين والإيمان، ترك تراثاً فكرياً غزيراً وممتعاً، وبأسلوبه السهل والبسيط والتلقائي استطاع استقطاب الملايين لتوجهه الإيماني في كل آثاره، ومع أنه تخرج من كلية الطب عام ١٩٥٣م فإنه آثر التفرغ للكتابة والتأليف ،فكتب في الدين والآداب والسياسة وعلم الاجتماع أكثر من تسعة وثمانين مصنفاً، اشتهر ببرنامجه الشهير (العلم والإيمان) في حلقاته المصورة وهي أربعمائة حلقة تلفزيونية، أنشأ بعض المراكز الخيرية والعلمية لخدمة ذوي الدخل المحدود، وله مسجد معروف باسمه، انسحب من الأضواء بعد أن داهمته أمراض الشيخوخة.
ومن آثاره:
١. رحلتي من الشك إلى الإيمان.
٢. لماذا رفضت الماركسية.
٣. مغامرة في الصحراء.
٤. شلة الأنس.
انظر:
- جريدة الرياض، السعودية، ع ١٥١٠٥، ١٤٣٠هـ، ص ٣٤.
- جريدة الاقتصادية، السعودية، ع ٥٨٦٥، ١٤٣٠هـ، ص ٣٤.
- جريدة عكاظ، السعودية، ع ١٥٧٧٢، ١٤٣٠هـ، ص ٢٣.

obeikandl.com

وكم من مسلمين في أصقاع الأرض لا يحملون من الإسلام إلا اسمه. ولتوضيح المقصود لابد من الإقرار أن ما حدث للإنسان العربي منذ قرابة قرنين من الزمان جراء الانبهار الجارف بالتقدم العلمي والصناعي الغربي،أو ما بات يعرف ثقافياً بالصدمة الحضارية، ضرب بجذوره في أعماق متلقيه، فالغرب في ذلك الوقت– وكما يشير الكاتب – هو من كان يزودهم بالكتب والدواء والملابس والمنسوجات والقاطرات والسيارات والأطعمة المعلبة، حتى قلم الرصاص والإبرة والدبوس، بل حتى نظم التعليم وقوالب التأليف الأدبي من قصة ومسرحية ورواية وورق الصحف.

"وكان طبعياً أن نتصور أن كل ما يأتينا من الغرب هو النور والحق وهو السبيل إلى القوة والخلاص"(١).

وعندما شبّ الطالب المأخوذ بهذه الحضارة ارتأى أن يدخل كلية الطبّ، وتعلم أنه لإعطاء حكم سليم في أي موضوع لابدّ له من معطيات وشواهد من الحسّ والواقع، وأن ما لا يقع تحت الحسّ الملموس فهو "علمياً" غير موجود، فالغيب إذن لا حساب له في الحكم العلمي.

وأشار الكاتب إن إعجابه بنفسه وعقليته في بدايات توقده العقلي، أدّى به إلى عبادة نفسه وذكائه، مما جعله يتخبط لأكثر من ثلاثين عاماً ما بين قراءة الكتب، وجلسات التأمل الصوفي، وممارسة اليوجا التي

(١) رحلتي من الشك إلى الإيمان. مصطفى محمود. دار أخبار اليوم، القاهرة، ٢٠٠١، ١٧.

obeikandl.com

تعلمها على أيدي أساتذة هنود، وحوار النفس، وإعادة النظر مرة تلو المرة، وقد عانى نفسياً وبدنياً، ودخل في دوامة مؤلمة من القلق والحيرة.. ثم إن الله سبحانه وتعالى لطف به وهداه إلى شاطئ اليقين والطمأنينة، وإذا كان كل إنسان يسعى للحقيقة، طريقه الذي هيأه الله تعالى له، فقد كان طريق الدكتور مصطفى إلى الله – تعالى– عبر العلم والزيادة في طلبه ما استطاع، وكان أن اهتدى بنور هذا العلم إلى خطأ مقولة إن الكون أبدي والحياة أبدية وبلا نهايةٍ، "فالكون ليس أزلياً، بل هو مخلوق، كان له بدء بدليل آخر من قاموس العلم، وهو القانون الثاني للديناميكا الحرارية، ويقرر هذا القانون أن الحرارة تنتقل من الساخن إلى البارد، من الحرارة الأعلى إلى الحرارة الأدنى، حتى يتعادل المستويان، فيتوقف التبادل الحراري.. ولو كان الكون أبدياً أزلياً بدون ابتداء، لكان التبادل الحراري قد توقف في تلك الآباد الطويلة المتاحة، وبالتالي لتوقفت كل صور الحياة.. ولبردت النجوم وصارت بدرجة حرارة الصقيع، وانتهى كل شيء. إن هذا القانون هو ذاته دليل على أن الكون كان له بدء.. والقيامة الصغرى التي نراها حولنا في موت الحضارات وموت الأفراد وموت النجوم وموت الحيوان والنبات وتناهي اللحظات والحقب والدهور.. هي لمحة أخرى تدلنا على القيامة الكبرى هي التي لابد أن ينتهي إليها الكون.

إن العلم الحق لم يكن أبداً مناقضاً للدين، بل إنه دال عليه مؤكـد لمعناه"[1].

يبدو كلام الدكتور مصطفى منطقياً وموضوعياً، إذا ما نظرنا إلى دور بيئته في تكوين معالم ثقافته وفكره التحليلي المحض.

ولاشك بأن أي إنسان متنور معرضٌ لئن يمر بمثل تجربة الدكتور مصطفى محمود في بحثه عن الحقيقة، وأذكر على سبيل المثال تجربـة **أبي حامد الغزالي**[2] الشهيرة في بحثه عن مـوازين الحقيقـة، وهـي التجربة التي عانى فيها من الحيرة والتخبط النفسي المرير، وانقطع عن مخالطة الناس، منصرفاً عن التدريس، عازمـاً علـى مجاهـدة نفسـه برياضة الخلوة والعزلة والتأمل لاستخلاص المنهج الحق مـن طوفـان الفرق والطوائف المتكاثرة في عصره، لاسيما وأن كل طائفـة تـدّعي سلامة منهجها وقوته، وأنها هي فقط طريق الحق والهدايـة والسـعادة. فأخذ ينظر في فرق الشيعة والباطنيين والمتكلمين والفلاسفة أهل المنطق والبرهان والصوفية أهل المشاهدة والمكاشفة.

---

(١) المصدر السابق، ٢٦.

(٢) أبو حامد الغزالي: محمد بن محمد بن محمد الطوسي الشافعي (زين الدين، حجة الإسلام)، ولد وتوفي بخراسان (٤٥٠/ ٤٥١- ٥٠٥) تنقل في الأقطار لتحصيل العلم، وبرع في الفقه ومهر في الكلام والجدل حتى صار عين المناظرين، اشتغل بالتدريس في بغداد، ثم أقبل على العبادة والسياحة في الأمصار لطلب الحقيقة، مرّ بأزمة نفسية عنيفة شرحها في كتابه (المنقذ من الضلال)، له تصانيف غزيرة منها:
- إحياء علوم الدين.
- تهافت الفلاسفة.
انظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي (ت٧٤٨هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت ط٧ /١٤١٠هـ، ٣٢٢/١٩.

عن هذه التجربة المؤلمة يقول:

"انتهى بي طول التشكيك إلى أن لم تسمح نفسي بتسليم الأمان في المحسوسات، ومن أين الثقة بها؟ وأقوى الحواس حاسة البصر، وهي تنظر إلى الظل فتراه واقفاً غير متحرك، وتحكم بنفي الحركة، ثم بالتجربة والمشاهدة بعد ساعة تعرف أنه متحرك، وأنه لم يتحرك دفعة بغتة، بل على التدريج ذرّة ذرّة، حتى لم تكن له حالة وقوف، وتنظر إلى الكوكب فتراه صغيراً في مقدار دينار، ثم الأدلة الهندسية تدل على أنه أكبر من الأرض في المقدار، هذا وأمثاله من المحسوسات يحكم فيها حاكم الحسّ بأحكامه ويكذبه حاكم العقل ويخوّنه تكذيباً لا سبيل إلى مدافعته"(١).

وقد استمرت محنة الغزالي شهرين ذاق فيها الأمرّين، وألقى بنفسه في متاهات الصحاري والقفار، إلى أن منّ الله عليه بالهداية والطمأنينة، وأيقن أن كل علم لا ثقة فيه ولا أمان معه فهو ليس علم يقين.

والواقع أن هذا – في رأيي– أصل الصواب والصحة الكاملة، فالله –سبحانه وتعالى – يحاسب الناس ويجازيهم بالعقاب أو الثواب، بناءً

(١) المنقذ من الضلال. أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ). مطبعة ابن زيدون، دمشق ط٢ /١٣٣٤هـ، ٧١.

obeikandi.com

على علوم يقينية قاطعة، وإلا لكان ميزان العدالة مختلاً – تعالى الله سبحانه علواً كبيراً–.

وقد انتهت هذه المرحلة من حياة الغزالي، وأعقبها بفضل الله ولطفه نور ويقين وطمأنينة، علّق عليها بقوله:

"وعادت نفسي إلى الصحة والاعتدال، ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقاً بها على أمنٍ ويقين، ولم يكن ذلك بنظم دليل ولا ترتيب كلام، بل بنور قذفه الله في الصدر، وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف، فمن ظنّ أن الكشف موقوف على الأدلة، فقد ضيّق رحمة الله الواسعة."(١).

وقد لفت نظري في معاناة الرجلين (الغزالي، ومصطفى محمود) المعاناة النفسية لكليهما ومصارعة الشكوك الدائرة في عصر كليهما. وقد استمرت تجربة الغزالي فترة قصيرة، مقارنة بتجربة مصطفى محمود التي استمرت لسنوات طوال قبل أن يهتدي برحمة الله تعالى إلى برّ اليقين والسلام النفسي.

(١) المرجع السابق، ٧٤.

obeikandi.com

أ- بواعث علمية وثقافية:

هذا الباعث من أقوى البواعث وأشدها رسوخاً وتأثيراً في النفس، بل هو أساس كل خير وتقدم، فما عساه يفعل أي إنسان مجرد من سلاح العلم ونور المعرفة؟ ولا أخفي سراً عندما أكشف تأثري الشخصي بعلمٍ شاهق كالطود العظيم إنه **علي مبارك**[1] رحمه الله، في سيرته المدهشة لطلب العلم والتقدم.. إن حياة هذا العلم الفذّ ملحمة نضالية خاضها بجدارة وثبات في الخُلق والعزيمة.

فنفع نفسه وروحه المتعطشة للمعرفة، ونفع بلاده أيما نفع، حتى أُطلق عليه مهندس العمران، وباني مصر الحديثة..

وقد تميزت شخصية علي مبارك منذ نعومة أظفاره عبر رفضه لطرائق التعليم الشائعة في زمنه.. إذ لم يلبث أن ترك الدراسة بعد حفظه للقرآن الكريم، بسبب المعاملة السيئة لشيوخ الحلقات، وما يتبعها من سبّ وضرب وحبس، بل وخدمة، حتى إنه كان يخدم الشيخ وأهله وبيته.

---

(١) علي مبارك: (١٨٢٣-١٨٩٣م) ولد علي مبارك في قرية برنبال بمحافظة الدقهلية. تميز بذكائه، وقد عارض أساليب التعليم في عصره منذ صغره. وترقى في سلم المعرفة إلى أن أُبتعث لفرنسا لتعلم العلوم الحديثة في الرياضيات والهندسة والعلوم العسكرية.. ولما عاد لوطنه تقلّد مناصب جليلة في التعليم والأوقاف والعمارة والزراعة ،يعدّ علي مبارك أبا التعليم المصري ومهندس مدينة القاهرة الحديثة.
كتب آثاراً ومصنفات مفيدة في مباحث مختلفة ،منها:
- علم الدين.
- الخطط الجديدة.
- خلاصة تاريخ العرب.
انظر: سيرة حياته من كتابه (حياتي)، تعليق وفهرسة: عبد الرحيم يوسف الجمل، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٠٩هـ.

openkanal.com

يقول عن هذه الفترة عما كان يفعله هو وأقرانه عند شيخ الحلقة "فمنا من يخدم الزوجة فيملأ لها الزير، ويكنس البيت وينفض الحصير، ومنا من يخدمه، فهذا يهيئ له غذاءه ويفليه، وهذا يملأ السبيل ويوضيه، وهذا يدق له النشوق، وهذا يجمع له النوى من السوق، وهذا يجمع له القوالح للقهوة، وهذا يكون بيده مفاتيح السهوة"(١).

هذا عدا الضرب والشتم الذي كان يلحقه إذا ما أخطأ خطأً، أو نسي شيئاً، مما حدا بنفس الطالب (علي) الأبية إلى ترك التعليم على هذا النهج السيئ، حتى احتار أهله وذووه في أمره وما يصنعون به، ليدرجوه بعد ذلك فيما عرف بمكاتب التعليم، فلا يلبث فيها أيضاً إلا يسيراً، ولم تكن حالها بأفضل من الحال عند شيوخ الحلقات في بلدته.

والحقيقة أن الخلل في طرائق التدريس أثار سخط كل نابه متنور في ذلك العصر. فتُدرس الكتب العلمية العميقة في اللغة والنحو والفقه بعموم ألفاظها، دون تفسير وشرح وتبسيط لتقريب معانيها للذهن، حتى غدا كلام المعلمين ككلام السحرة غامضاً مُستغلقاً، فيشبّ التلاميذ وهم لا يفقهون شيئاً، ليصبحوا رجالاً بعقول الأطفال وأحلامهم(٢)..

وقصة تنقل علي مبارك وتدرجه من مكاتب التعليم، ثم المدارس، وجهده الدؤوب لفهم المواد وتحصيل العلم، وما حدث بعد ذلك من

---

(١) علي مبارك –الأعمال الكاملة- تحقيق: محمد عمارة ، بيروت ، ١٩٧٩م ، مج١/ ٤٧٨.
(٢) انظر: مذكرات الإمام محمد عبده، تحقيق: طاهر الطناحي ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ط١/ ٢٠٠٥م، ٢٩.

obeikandi.com

ابتعاثه مع فرقة من النجباء إلى فرنسا طيلة خمس سنوات، وكيفية تعلمه اللغة الفرنسية، وتحصيل العلوم الرياضية والمساحية والعسكرية، قصة رائعة ومُشوقة لما فيها من تقوية دواعي الصبر والجلد والعزيمة.

وقد أثمر هذا التعليم النفع الكثير عليه وعلى بلده، حتى أصبحت مصر في عهده متقدمة ومتطورة إلى حدٍ كبير، مقارنة بينها وبين الدول المجاورة لها. وقد سعى علي مبارك في التطور إلى الأمام سعياً حثيثاً، فلم يترك ناحية من نواحي البلاد إلا وسعى فيها للتقدم والمدنيّة، فأنشأ المدارس والمعاهد والكليات، ونظم شؤون النيل وأمور الري والزراعة والعمارة، وكتب مؤلفات نافعة لتنوير العقل العربي والمسلم آنذاك، لاسيما في العلوم التطبيقية الحديثة، وقد كتب عن تخطيط المدن وعمارتها، فأنجز "أول تنظيم للقاهرة ومدن مصر في العصر الحديث"[١] فأقام الأساس العمراني لمدينة القاهرة.

لقد كان هذا الإنسان رجالاً ذوي عزم شديد مجتمعين في رجل واحد، اسمه علي مبارك، وقد سدّت كتبه النيرة وتراجمه المهمة ثغرة حيوية في عصر اشتدت الحاجة إلى مثل تلك المصنفات المفيدة، مثل: علم الدين والخطط الجديدة وحقائق الأخبار في أوصاف البحار وجغرافية مصر والميزان في الأقيسة والأوزان وغيرها من المصنفات،

(١) علي مبارك، مؤرخ ومهندس العمران. محمد عمارة. دار الشروق ،القاهرة ط٢ /١٤٠٨هـ، ٧.

obeikandi.com

فكتاب **علم الدين**[1] يلخص مسيرة شيخ أزهري للغرب –فرنسا– بصحبة رجل إفرنجي، وتدور بينهما محاورات ومناظرات حول عجائب الغرب المتطور والغريبة على الشيخ المصري، والذي يُبدي إعجابه بما يراه من علوم ومعارف ونتائج هذه العلوم المتماثلة أمام عينه في مناحي الحياة الزراعية والصناعية والثقافية، إلا أنه في الوقت نفسه لا ينبهر مأخوذ اللبّ بكل ما يراه من غير تعليق وتحليل، بل إنه وفي أكثر من موضع من هذه الرحلة يمحّص وينتقد كثيراً من عوائد الفرنجة، فهو يستغرب ويستنكر عليهم – وهم الذين اتخذوا من العقل أساساً للرقي والحضارة –تناقضهم في ولعهم بشرب المسكرات والخمور[2]، وما تجنيه هذه العادة من هياج ورعونة وفساد وأفعال حمقاء يندم المرء عليها، متى عاد إليه عقله ورشده.

وفي مثال آخر نراه يقارن بين وضع المرأة الشرقية ونظيرتها الأوروبية[3]، وذلك عند رؤيته لشابة إيطالية حسناء ومثقفة تحادث الرجال من غير وجل ولا اضطراب، وتناقشهم في ألوان المسائل والمباحث، فسرح الشيخ مُفكراً في حال المرأة الشرقية، وكيف أنها لا تحادث من الرجال إلا ذويها وأقاربها، وإذا احتاجت لمحادثة غريب في السوق أو نحو ذلك، كان ذلك باستحياء وتحفظ كبير، بعكس هذه الشابة

---

(١) علم الدين: موسوعة علمية في الفكر والأدب والدين والتاريخ وعلوم العصر وفنونه، من خلال المسامرات والمحاورات ،امتازت بأسلوبها الأدبي البسيط والمباشر.

(٢) انظر: علم الدين، تقديم سمير سرحان، طبعة مصورة من مطبعة جريدة المحروسة- الإسكندرية، ١٢٩٩هـ- الهيئة العامة للكتاب ، مج ٢/ ٥٠٩.

(٣) انظر: المصدر السابق، الجزء الأول، المسامرة الحادية عشرة، ١٩٨.

obeikandi.com

الماثلة أمامه في محادثتها للجميع من قريب وغريب، وانتهى إلى أن وضع المرأة الشرقية أفضل وأجمل لحفاظه وصيانته أسباب العرض والشرف والحياء من التلف، وهو الرأي الراجح عندي، فإن كثرة الاختلاط والمساس تُفقد الإحساس، كما يقال. وللمرأة أن تتحدث وتكتب وتعمل كيفما تشاء من دون اختلاط دائم واحتكاك مباشر بالرجال، كيلا يحدث ما لا يُحمد عقباه. وفي تجارب الشعوب الغربية والعربية ممن ساروا على نهج السفور والاختلاط خير دليل على هذا.

*****

ولعل كتاب (حياتي) وهو سيرة حياته، صدر لأكثر من باعث ودافع لديه، فهو- إلى جانب رؤيته لذاته مثلاً يُحتذى به في طلب العلم والمعرفة من ناحية، وفي الإنجازات والخدمات الجليلة التي قدمها لبلاده طوال سنين حياته مثالاً آخر في نشر التقدم والتطور والإصلاح من ناحية أخرى.

وأرى أن علي مبارك حرص على تقديم كل ما حواه عقله من معارف وخبرات طوال حياته، سواء باشتغاله في التدريس، أو عبر كتبه أو من خلال قيامه بأعباء الوزارات، وقد أُسندت إليه وزارات وإدارات متعددة، مثل إدارة السكك الحديدية وإدارة ديوان المدارس، إضافة إلى نظارة عموم الأوقاف.

obeikandi.com

وهو إلى جانب آثاره النافعة وبصماته الواضحة في شتى منـــاحي الحياة بزمنه، آية في الخلق الرفيع والتواضع والإخلاص، يقول: "وإنـــي لمعترف بفضل هذا الوطن العزيز علي، فقد نشأت في ظله، وتقلبت في مهده، وتربيت في حجر كفالته وتعهـــده، حتـــى صـــرت مـــن أبنائـــه المعدودين، ورجاله المعروفين وتمتعت صغيراً وكبيـــراً، بكثيـــر مـــن خيراته وثمراته، ولا أزال متنعماً بطيباته.. فأجدني وإن استوفيت الجهد، وقضيت العمر في خدمته، لم أقم بعشر معشار ما علي مـــن واجباتـــه وحقوقه"[١].

- والواقع أن كثيراً من الباحثين تعرضوا لدراسة الدوافع المختلفـــة لكتابة السير الذاتية، وتنوعت هذه الدوافع، مـــا بـــين ثقافيـــة، أو علمية، أو اجتماعية، ودوافع أخرى مهمة كذلك، كالدوافع السياسية مثلاً.

فشعور كاتب السيرة بالظلم والاضطهاد ممن حوله مثلاً يولد لديه دافعاً عميقاً؛ لإثبات صلابته الشخصية في مواجهـــة معوقـــات مســـيرة حياته، فيلجأ لكتابة سيرته من باب التسرية عن نفسه[٢]، وأرى أن لجوء الكاتب للتنفيس عما بداخله في شكل أدبي مميز، كالسيرة الذاتية مـــثلاً، فيسرد مجريات حياته بما فيها من جوانب مضيئة ومظلمـــة – معـــادلاً

(١) علم الدين. الجزء الأول ، المقدمة ٧.
(٢) انظر: فن السيرة بين الذاتية والغيرية في ضوء النقد الأدبي. عبد اللطيف الحديدي. دار السعادة للطباعة، ط ١/ ١٤١٧هـ ، ١٤٩.

obeikandl.com

موضوعياً- وهو تعبير الإنسان عن معاناته بشكل إيجابي -كالتجربة الأدبية على سبيل المثال- بدلاً من التنفيس الداخلي عبر طرق أكثر حدة وعنفاً.

- ومن دوافع كتابة السيرة الذاتية أيضاً، ما تطلبه دور الصحف والنشر من الكتاب؛ لتزويدها بسير حياتهم في حلقات متسلسلة، تنشر تباعاً، مما يتطلب من الكتاب أنفسهم رصد جوانب حياتهم وتسجيلها[1] ؛ لتكون مادة مشوقة لقراء الصحف والمجلات.

وهذا الدور المشجع لكتابة السيرة اضطلعت به الصحف الثقافية والأدبية بوجه خاص، ويمكن اعتبار كثير من هذه الصحف مصدراً أساسياً للاطلاع على تراجم الأدباء.

ومن الأسباب المندرجة تحت الباعث الثقافي، تأثر هذا الأدب وتطوره -لا سيما في هذا العصر- نتيجة للاحتكاك الفكري والثقافي بأدب السيرة في الغرب، فاطلاع الأدباء العرب على سير نظرائهم الغربيين، أثّر بشكل ملحوظ على تطور فن السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث[2].

---

(١) انظر: السيرة الذاتية في الأدب السعودي. عبدالله الحيدري. دار المعراج الدولية، الرياض ط١/ ١٤١٨هـ، ١٥٠ وما بعدها.

(٢) انظر: فن السيرة بين الذاتية والغيرية، ١٥٦.

obeikandi.com

والحقيقة أنه من العسير النظر إلى سيرة ذاتية من خـــلال باعـــث واحدٍ فحسب، فقد يجتمع أكثر من باعث[١]، فيعمد الكاتب لتسجيل سيرة حياته، كرغبة منه باسترجاع ذكرياته؛ لإشباع ذاته، وعملية الاسترجاع الذهني هذه تحكمها مبررات نفسية قوية، ولا يمنع هذا أن يكتب ســـيرته ويصوِّر جوانب المجتمع والعصر الذي يعيش في جنباتـــه فـــي نفـــس الوقت.

- ومن الشخصيات العلمية اللافتة للنظر رجل الفكر النهضوي **أحمد لطفي السيد**[٢]، والدور الاجتماعي والثقافي والسياسي الذي متّلـــه في حلقة من سلسلة التنمية الحضارية لتاريخ مصر المعاصر، ولا يُستبعد أن يكون وراء كتابته لسيرته الذاتية أكثر مـــن دافع،مثـــل تبرير المواقف الإشكالية، لاسيما وأنه تقلّد مناصب رفيعة جليلـــة في السياسة والثقافة طيلة سني حياته، وتكون هذه المسيرة الطويلة

---

(١) انظر: الترجمة الذاتية، يحيى عبد الدايم، ٨٤.

(٢) أحمد لطفي السيد: (١٨٧٢- ١٩٦٣م) رائد من رواد الفكر المصري المعاصر وأعلام التنوير. ولد في قرية (برقين) من أعمال الدقهلية، تعرف مبكراً على الشيخ محمد عبده وتأثر بآرائه الإصلاحية، درس الحقوق، ثم التحق بسلك القضاء ،وشارك في الكفاح الوطني، وطالب باستقلال البلاد، تدرج في المناصب القيادية الهامة كإدارة دار الكتب المصرية، ووزارة المعارف ووزارة الخارجية، ومديراً للجامعة، ورئيساً لمجمع اللغة العربية. نادى بتعليم المرأة، وتخرجت في عهد رئاسته للجامعة أول دفعة من الطالبات عام ١٩٣٢م.

من مؤلفاته:

١. صفحات مطوية من تاريخ الحركة الاستقلالية.
٢. تأملات في الفلسفة والأدب والاجتماع.
٣. قصة حياتي.

انظر:

١. أحمد لطفي السيد،"أستاذ الجيل" حسين فوزي النجار، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ، القاهرة (د.ت).
٢. الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت ط٤/ ١٩٧٩م، مج ١/ ٢٠٠.

obeikandi.com

في كتاب كوثيقة شاهدة على عصره، أو لإيداع خلاصة رحلة حياته ضمن دفتي كتاب للنظر فيها، واستخلاص العبرة والدروس منها، خاصة وأنه كتبها وهو في التسعين من عمره.

- **أحمد لطفي السيد:** عاش في وقت كانت مصر بأمس الحاجة لشخصية هادئة وصلبة معاً، في زمنٍ تماوجت وتلونت به الصراعات والتغييرات السياسية والاجتماعية، وقد مثّل أحمد لطفي السيد وتداً ثقافياً للمجتمع المصري المعاصر، مع أنه عمل ولمع في أوساط السياسة والقضاء كذلك، إلا أنني أراه في دائرة الفكر والثقافة أولاً وأخيراً، ففي ذلك العصر من تاريخ مصر ربما كان لكل إنسان في المجتمع اتجاه وميل ودور سياسي، لظروف البلاد الدقيقة، ورغبتها بالانعتاق من طوق الهيمنة البريطانية، ومما يجعل هذا الرجل نجماً متوهجاً في سماء عصره، حفاظه على رباطة الجأش والثبات على ما يرى ويعتقد بصوابه، حتى لو خرج فيه على بعض مُسلمات عصره[1]. فهو رجل التغيير الهادئ لا التغيير الثائر.

(١) مثل رفضه فكرة إنشاء الجامعة الإسلامية أو جمع المسلمين في دولة إسلامية واحدة. فقد كان أحمد لطفي السيد مصرياً قومياً خالصاً لخدمة مصالح مصر والمصريين.
انظر: أحمد لطفي السيد ، حسين فوزي النجار. ١٤٩.

obeikandi.com

و قد تأثر مبكراً بالفلسفة، فقرأ لأرسطو ولفلاسفة العرب كـذلك، في كتابات ابن رشد وابن سينا وابن حزم، وتأثر بأعلام الفكر الأوروبي مثل فولتير وروسو.

بيد أن إعجابه الشديد تمثل في أرسطو، فقام بترجمة بعض كتبـه مثل كتاب الأخلاق وكتاب السياسة[١]، ونادى بتكريس قـوائم النهضـة الحديثة على الأسس العلمية التي قامت عليها أوروبا في نهضتها.

ومن أسباب نجاح المشروعات النهضوية في المجتمـع مبـادرة وجهاء المجتمع وأعيانه بتبني هذه المشروعات أكثر من عامة النـاس. وقد كان أحمد لطفي السيد من أولئك الوجهـاء، أرسـتقراطياً مصـرياً صميماً، برؤية ديمقراطية مدروسة.

"ولم تكن الوظيفة لمثله وسيلة لكسب العيش، فقد كان على ثـراء يفوق حاجته، وإنما كانت وسيلة للخدمة العامة"[٢].

واستطاع من ميادين الخدمة العامة تحقيق الكثيـر مـن أحلامـه النهضوية،بما يتفق مع طابعـه الفكـري واتجاهاتـه العقليـة وسـمته

(١) انظر: قصة حياتي، أحمد لطفي السيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م، ١٧٠.
(٢) أحمد لطفي السيد، أستاذ الجيل، ٧١.

obeikandl.com

الاجتماعي "وكانت جميعاً وظائف مرموقة في تقدير الناس والمجتمع"[١] فتنقل في ميادين العمل الحيوية، تاركاً بصماته الواضحة بكل ميدان خاض غماره، في السياسة والصحافة والمجتمع، فأُطلق عليه بحق (أستاذ الجيل). وأسهم إسهاماً كبيراً في تأسيس مفهوم التعليم الجامعي ورسالته السامية في تربية شبيبة الأجيال، وتهيئتها لمسك زمام الأمور، ومن رسالة الجامعة كذلك نشر الثقافة العلمية والأدبية بين جميع الطبقات من غير قيد أو شرط، وإذاعة المحاضرات العامة للجماهير، ونشر المؤلفات القيّمة والمفيدة بين أيدي القراء[٢].

وقد سار أحمد لطفي السيد في حياته وفق منهج واضح له في سبيل رؤيته النهضوية بطابعها القومي الخالص، مثل موقفه حين قامت أوار الحرب التركية الإيطالية في ليبيا بمدينة طرابلس: "وأغارت إيطاليا على طرابلس، فظننت أن هذه فرصة لتحقيق ما كنت أدعو إليه من أن مصر يجب أن تكون للمصريين، وقد أخذت أنبه –على استحياء– إلى واجب مصر في هذه الحرب، وهو أن تكون على الحياد، وأن سيادة تركيا لا تجلب لمصر منفعة ولا تدفع عنها مضرة، ولا تستطيع أن تنقذها من الاحتلال البريطاني الذي لا يمكن الخلاص منه إلا بتضافرنا

(١) المرجع السابق، ٧٧.
(٢) انظر: قصة حياتي ١٩٣ + ١٩٤.

obeikandl.com

والاعتماد على أنفسنا. وقد أغضب هذا الموقف بعض الناس، ولكني لم ألتفت إلى غضبهم"[١].

ويريد لطفي بدعوته هذه قصر وتحقيق الاهتمام العام ببلاده على شؤون مصر والمصريين فقط دون سواهما، وهو الموقف الـذي لا أراه ولا أرتضيه –بصفة شخصية– وخاصة من دولة شقيقة مجـاورة لبلـد الأحداث الساخنة آنذاك.

وفي موضوع آخر تتضح موازنته لظروف الواقـع الاجتمـاعي وعدم جعلها حجر عثرة أمام تحولات المجتمع آنذاك، مثل حديثه عـن موضوع دراسة الطالبة في الجامعة:

" ولا أخفي أننا قبلنا الطالبات أعضاء في الأسرة الجامعيـة فـي غفلة من الذين من شأنهم أن ينكروا علينا اختلاط الشابات بإخوانهن في الدرس، فقد حدث أن طلب إليّ بعض عمداء الكليـات فـي أول سـنة لافتتاح جامعة فؤاد أن نقبل فيها البنات الحـائزات علـى البكالوريـا، فأسررت لهم في ذلك الحين أن هذه المسألة شائكة، وأني أشك في رضى الحكومة عنها، وعلى ذلك قررنا فيما بيننا أن نقبل البنات الحائزات على البكالوريا، من غير أن تثار هذه المسألة في الصحف أو فـي الخطـب، حتى نضع الرأي العام والحكومة معاً أمام الأمر الواقع، وقد نجحنا فـي ذلك. وبعد أن سرنا في هذا النهج عشر سنوات حدث ما كنا نتوقعه، فقد

(١) المصدر السابق، ١٢٩.

obeikandi.com

قامت ضجة تنكر علينا هذا الاختلاط، فلم نأبه لها، لأننا على يقين من أن التطور الاجتماعي معنا، وأن التطور لا غالب له. ومعنا العدل الذي يسوي بين الأخ وأخته في أن يحصل كلاهما على أسباب كماله الخاص على السواء، ومعنا فوق ذلك منفعة الأمة من تمهيد الأسباب لتكوين العائلة المصرية على وجه يتألف من أطماعنا في الارتقاء القومي –كل أولئك جعلنا لا نحفل بهذه الضجة التي ما لبثت أن ذهب بها الزمان"[1].

ولا أريد الخوض في تفاصيل الموضوع إلا بقول أن أحمد لطفي السيد –وكان مديراً للجامعة ذلك الوقت– استطاع تسيير عقبات الواقع الاجتماعي لصالح رؤيته بهدوء، وبأقل قدر من ردود الفعل القادرة على تغيير ما جعله واقعاً مُعاشاً، وسنّه سُنة الاختلاط بين الجنسين في الجامعة.

******

ب– بواعث سياسية:

يعدّ الإطلاع على مجريات الأحداث السياسية الداخلية والخارجية مادة مشوقة، لها جمهورها العريض المتلهف لكشف خبايا وأسرار الأحداث السياسية، وما انتشار الأفلام الوثائقية والتسجيلية في القنوات

(١) المصدر السابق، ١٩٥.

obeikandl.com

المتخصصة في شتى أنحاء العالم إلا دلالة ساطعة إلى مدى هذا الرواج، ولئن كان الكتاب المصدر الأول للتوثيق منذ القدم، فقد حلت بدلاً عنه الأفلام التسجيلية، حيث يقوم السياسي البارع، أو العسكري الداهية بقصّ سيرة حياته في هدوء، عبر حديثه إلى جماهير الشاشة الفضية، ومن المعلوم أن سيرة كثير من القادة والزعماء، وأصحاب الحنكة السياسية، تعدّ مادة علمية ذهبية، تدرس في المعاهد والكليات العسكرية، مثل سيرة المهاتما غاندي، أو سيرة ابنته أنديرا غاندي، أو سيرة الزعيم البريطاني ونستون تشرشل، وغيرهم من مشاهير السياسة في العالم.

وهؤلاء القادة يكون لهم مواقف سياسية أثارت الخصومات حولهم، فيلجأون إلى "الدفاع عن أنفسهم، وتبرير مواقفهم تلك، والذود عنها بكتابة سيرهم الذاتية لتوضيح غاياتهم من وراء تلك المواقف"[١].

ومن أقدم وأشهر السير السياسية في تراثنا العربي سيرة **أسامة ابن منقذ الكناني**[٢]، الذي عاش في زمن الناصر صلاح الدين الأيوبي،

---

(١) الترجمة الذاتية، ٩٣-٩٤ بتصرف.

(٢) أسامة بن منقذ: الأمير أبو المظفر أسامة بن مرشد الكناني (٤٨٨-٥٨٤هـ)، شاعر وناثر معروف، عاش متنقلاً بين مصر والشام غالب سنوات حياته، وعاش قسماً من حياته في بلاد الفرنجة ،وصوّر عاداتهم وأخبارهم في كتابه الشهير (الاعتبار) ، من مؤلفاته:
١.الاعتبار. ٢. الشيب والشباب.
انظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٩٢٢م، ١٨٨/٥.

obeikandl.com

وقد كتب ابن منقذ كتابه الشهير **(الاعتبار)** وقص فيه أحـــوال الفرنجـــة وأخبارها، والأحداث العاصفة والجسيمة في زمانه.

- وبما أن أغلب الدول العربية، كانت ترزح تحت نير الاستعمار، فقد جاهدت من أجل خلاصها ونهضـــتها وتقـــدمها بالاســـتقلال تـــارة، وبإرساء قواعد النهضة الحديثة السياسية والعلمية والاقتصادية تـــارة أخرى، مما أدى إلى ازدهار فن السيرة السياسية في الأدب العربـــي الحديث.

وتُعدّ مذكرات الساسة المصريين مادة مشوقة؛ لتصويرها الحقـــب الزمنية التي عاشتها مصر الحديثة في عهود سياسية مختلفة، منذ الحملة الفرنسية بعد مجيء نابليون بونـــابرت ١٧٩٨م، ورحيلـــه بعـــد ذلـــك بسنوات، إلى عهد الهيمنة الإنجليزية والتركية في نفس الوقت.

وتشرح هذه السير السياسية أسرار التحولات السياسية وخفاياهـــا، وما يعقبها من تغيرات اجتماعية واقتصادية على الشعب المصري. ومن أوائل هذه المذكرات التي قرأتها **(مذكرات الإمام محمد عبده)** [١] والتـــي

---

(١) محمد عبده: محمد عبده خير الله (١٨٤٢- ١٩٠٥م) من أشهر أعلام التنوير والإصلاح في مصر على الإطلاق.. كرّس حياته في سبيل النهوض بمصر في شتى المجالات السياسية والفكرية والثقافية.
ولد الإمام محمد عبده في قرية محلة نصر بمديرية البحيرة ،ودرس وتعلم في أوائل حياته في المساجد وفي الأزهر أيضاً ،ولكنه ولصعوبة طرق التدريس ترك الدراسة، واجتهد بتعليم نفسه أو على أيدي من يثق بهم من شيوخ عصره.
تعرض للاضطهاد والنفي بسبب آرائه، لطرحه طرق التعليم الجديدة والعلوم الحديثة ،وبسبب بعض مواقفه السياسية كذلك.. فعاش في باريس بضعة سنوات ومن هناك أصدر هو ورفيقه

obeikandl.com

صور فيها الأحداث السياسية في عهده، وعهد محمد علي باشا، وعهد الخديوي توفيق وسلبيات هذين العهدين، وعن ثورة أحمد عرابي منذ قيامها إلى نهايتها.

وتعكس المذكرات الحالة المزرية للشعب المغلوب على أمره في ذلك الوقت، مقابل المستوى المعيشي والاجتماعي الجيد الذي حظي به الأجانب.

وتبدو شخصية محمد عبده في المذكرات ومنذ بداياته مختلفة ومتوهجة، لاسيما في ضجره من ذلك الواقع الجامد، داعياً إلى تحرير الفكر وفهم الدين الفهم الصحيح من ناحية.. ومن ناحية أخرى تنبيهه إلى سوء أوضاع الأساليب اللغوية، فيما يرى ويقرأ حوله، إن في المكاتبات الرسمية أو في المراسلات بين الناس، وفيما تنشره الجرائد. برغم أن المذكرات تميزت بلغة واضحة ومباشرة.. والحقيقة أن تنبه محمد عبده لهذا الجانب المهم بضرورة تحرير الأساليب اللغوية من قيود الزخارف اللفظية، يُحسب لهذا الإنسان الرائد في مجاله. وقد شرع في كتابة وتأليف الرسائل والمقالات في شتى المواضيع المهمة آنذاك، وعالجها

جمال الدين الأفغاني جريدة (العروة الوثقى)، لتعبئة روح المقاومة ضد المستعمر الأجنبي ولإرساء ركائز النهضة والاستقلال في البلاد.

انظر:

١. مذكرات الإمام محمد عبده، تحقيق وتعليق: طاهر الطناحي، القاهرة ط١/ ٢٠٠٥م.
٢. ثلاثة من أعلام الحرية، قدري قلعجي، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، بيروت ط١/ ١٩٩٣م.

obeikandl.com

بأسلوب سهل يغلب عليه الوضوح والتركيز، فكان فكره وأسلوبه نقلة نوعية إيجابية بمجال الكتابة والإنشاء في عصره.

ومن أبرز الشخصيات التاريخية التي صورتها المذكرات شخصية الحاكم **محمد علي باشا**[1] وإذا كانت هذه الشخصية قد أثارت حولها الجدل الطويل من مؤيد ومعارض، ودور محمد علي باشا في التطور والإصلاح الاجتماعي والعلمي أثناء حكمه، فالذي يظهر من خلال هذه المذكرات أن محمد علي كان وبالاً على الشعب المصري، وفصلاً قاتماً في تاريخه، ليس فقط من خلال ما ترويه مذكرات محمد عبده، بل ومن قراءات أخرى سلطت الضوء على هذه الشخصية.

يقول الجبرتي في تاريخه: " وكان له مندوحة لم تكن لغيره من ملوك هذه الأزمان، فلو وفقه الله لشيء من العدالة على مافيه من العزم والرياسة والشهامة والمطاولة، لكان أعجوبة زمانه وفريد أوانه "[2]

---

(١) **محمد علي باشا**: محمد علي باشا بن إبراهيم آغا بن علي المعروف بمحمد علي الكبير (١٧٧٠-١٨٤٩) م.
مؤسس آخر دولة ملكية بمصر، ألباني الأصل ، تعلم القراءة والكتابة في الخامسة والأربعين من عمره، واحترف التجارة ، قدم مصر نجدة لرد غزاة فرنسيين عن مصر ، في قوة تتالف من ٣٠٠ رجل ، ودالت له الدنيا حتى أصبح والياً على مصر. كثرت في أيامه المدارس والمعامل في الديار المصرية ، وأرسل البعثات لتلقي العلم في أوروبا ،وكان يلزم من يدخل في خدمته بالتزيي بالزي العربي (المصري) والتحدث والتأليف بالعربية.
اعتزل، و سلّم الأمور في أواخر عمره لابنه إبراهيم باشا.
انظر: الأعلام ٦/٢٨٩ +٢٩٩.

(١) تاريخ عجائب الأثار في التراجم والأخبار. عبدالرحمن حسن الجبرتي (ت ١٨٢٥م). دار الجيل ، بيروت ط٢ / ١٩٧٨م. جـ ٤ / ٢٥٨

obeikandl.com

وقد أشار محمد عبده إلى أن إرسال بعثة الأنجال لأوروبا كان لاتخاذها فيما بعد لتحقيق ما يريد. وحتى الكتب التي تُرجمت في الفلسفة والأدب والتاريخ، أُودعت في المخازن من يوم أن طُبعت وأُغلقت عليها الأبواب إلى أواخر عهد إسماعيل باشا، ثم "أرادت الحكومة تفريغ المخازن منها أو تخفيف ثقلها عنها، فنثرتها بين الناس فتناول منها من تناول"[١].

وتُعدّ هذه المذكرات وثيقة تاريخية مهمة، بتصويرها المجتمع المصري في تلك الأزمان الصعبة، فالقارئ يشعر بمدى تهافت السلاطين والمحتلين الأجانب على بريق المال، وكأنما مصر هي الدجاجة التي تبيض ذهباً. وكانت أصغر وحدة في هذا المجتمع وأقلها قدراً، الفلاح المصري المسكين، الذي يعمل سخرة في أراضي غيره من كبار الملاك الإقطاعيين، ولا ينال من الرزق إلا ما يسد رمقه ويُقيم أوده. وفي أحيان كثيرة يموت هؤلاء الفلاحون من شدة ما يلاقون من حرّ الصيف اللاهب. وبرد الشتاء القارس، لاسيما في الأعمال الكبيرة للدولة، مثل مدّ الجسور وشق القنوات وإصلاحها، وتشييد كل بناء يُقام باسم الحكومة[٢].

---

(٢) مذكرات الإمام محمد عبده ، ٤١.

(٢) ذكر محمد عبده أن أحوال الفلاحين تحسنت بعد ذلك ،ومُنع ضربهم "بالكرباج" وإهانتهم. وهو ما أثار سخط الناس من الملاك والفلاحين أنفسهم على حدٍ سواء. "وظنوا أنه قد هدم ركناً عظيماً من سلطان الحكومة".

يقول: "ومن غرائب آثار تعوّد الظلم ورؤيته ملازماً للسلطة بمصر، أن الذين حُفظت أبدانهم من الضرب والجلد وأرواحهم وأجسامهم من الحبس في سبيل اقتضاء الحقوق – سواء أكانت

obeikandi.com

- ولا يخفى عن الدارس بأن مصر الحديثة شـــهدت عهـــوداً سياســـية مختلفة، منذ الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونـــابرت عـــام ١٧٩٨م ورحيله بعد ذلك بسنوات، إلى الهيمنة الإنجليزية في نفس الوقـــت.. وتشرح كثيراً من السير السياسية أسرار وخفايا التحولات السياســـية، وما يعقبها من تغيرات اجتماعية واقتصادية على الشعب المصـــري مثل كتاب (مذكراتي) للوزير **إسماعيل صدقي باشـــا**[١] اللافت للنظر بسهولة أسلوبه وبساطته وقدرته على نقل القـــارئ بسلاســـة لـــزمن الكاتب.

وقد كتب إسماعيل صدقي هذه المـــذكرات فـــي حـــوالي الثالثـــة والسبعين من عمره، بعد إلحاح جريدة المصور عليه لكتابة سيرة حياته ليقرأها الناس، وتكون وثيقة شاهدة على عصر ماجـــت فيـــه المطـــامع والاغتيالات والمؤامرات والاستقالات المصوِّرة كيف أن مصر لم تنـــل حريتها واستقلالها إلا بعد جهود طويلة وشاقة، أتت على أعمار أجيـــال من أبنائها المخلصين.

للحكومة أم للأفراد- كانوا يعدون تلك الأوامر مخالفة لما يجب أن يُعاملوا به، وأنه لا يفيد إلا الكرباج ،كما لا يزال قوم منهم يقولون ذلك إلى اليوم".

(١) إسماعيل صدقي باشا: (١٨٧٥-١٩٥٠م) من أعلام السياسة المصرية الحديثة ،خاض في غمار السياسة لأكثر من خمسين عاماً، تقلد بعض المناصب الوزارية، فضلاً عن توليه رئاسة الوزراء أكثر من مرة. عمل قبل نشاطه السياسي وزيراً للزراعة، وقد تطور المجال الزراعي بفضله تطوراً إيجابياً، مثل إنشائه لبنك التسليف الزراعي ،ومساندته ودعمه لجانب المزارعين مقابل الحكومة. انظر: مقدمة مذكراته.

obeikandi.com

وقد شرح فيها الكاتب بشكل مُفصل ومُبسط في نفس الوقت لبدايات نشأته وتعلمه وترقيه حتى الوزارة، ثم جهوده مع غيره من الوطنيين في سبيل استقلال البلاد عن الإنجليز، وشرح فيها صوراً من حياة مصر في عهد الملكية، وتأثيرات الحرب العالمية الأولى، وتكوين الأحزاب الوطنية والمسائل المتعلقة ببعض جيران مصر، مثل السودان، وما يجمعهما من قضايا مشتركة، ولقائه ببعض مشاهير الساسة العالميين آنذاك، مثل موسليني زعيم إيطاليا، وبدايات التدخلات السياسية الأمريكية لتحجيم ووقف انتشار النفوذ الروسي في البلاد بعد الحرب العالمية الثانية. وكيفية تحول البلاد من بلد زراعي إلى بلد صناعي، وقيام الجامعة المصرية عام ١٩٠٦م، والتعديلات الدستورية التي طرأت على دستور البلاد، ويتضح من المذكرات بُعد نظر هذا السياسي، وحزمه في كثير من مواضع سيرته، وقد كانت له بصمة واضحة وأساسية بتعديل الدستور أو تغييره بالكلية، يقول:

"ولعل مما يهم الجيل الحاضر أن أبين له لماذا نقحتُ دستور ١٩٢٣م، أو بعبارة أخرى لماذا استبدلتُ به دستوراً جديداً؟.. وضع الدستور المصري سنة ١٩٢٣م منقطع الصلة بالماضي، وضع هذا الدستور على نظام الدستور البلجيكي، مستعيراً من غيره من الدساتير الحديثة أحكاماً مختلفة من هنا وهناك، فكان من ذلك كله مجموعة يصح بحق أن تُعتبر صورة صادقة لما بلغته الديمقراطية في أوروبا في

العصر الحديث.. ويعلم المطلع على تاريخ الدساتير الأوروبية أن هذه الصورة الأخيرة لم يبلغها طفرة واحدة أي بلد من البلاد التي نشأ وترعرع فيها النظام النيابي، وأن الدساتير وضعت في كل بلد وفق أحاولها المعاصرة لها، وأن التطورات الاقتصادية والاجتماعية بعد أن تبلغ مداها يكون لها أثرها في تعديل تلك الدساتير، تعديل يجيء تارة بطريق قلب الدستور وتغييره، وطوراً بالطرق التي رسمها الدستور نفسه. ومن يستقرئ أخبار وضع الدساتير لن تفوته ملاحظة أن كثيراً من واضعي الدساتير الحديثة يعمدون إلى الانتفاع بخبرة الغير في الأمور الدستورية، دون مراعاة ما بين بلد وبلد، من الفوارق في الخلق والطباع والنظم الاجتماعية، ويظنون خطأ أن آخر الأوضاع خيرها إطلاقاً، كما أن أحدث المخترعات أكملها، أو أن ما نجح في بلد لابد ناجح في غيره من البلاد. ويرون أن النقل عن الغير أقل كلفة وأهون نصباً، إذا كان البحث والاستقراء فيما يناسب ويلابس حال كل بلد أمراً صعب المسلك طويل الشقة"[1].

(١) مذكراتي، إسماعيل صدقي باشا، تحقيق: سامي أبو النور. مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢ / ١٤١٦هـ، ٩١ وما بعدها.

obeikandl.com

ج) بواعث اجتماعية واقتصادية:

أجمل دوافع كتابة السيرة الذاتية وأكثرها تشويقاً وجاذبيـــة، إذ إن فرصة التعلم والتعليم، لا تتاح بالضرورة لكل مخلصٍ شغوفٍ بالإصلاح ما استطاع إلى ذلك ســـبيلاً.. وللسياســـة والاقتصـــاد دروب ومزالـــق ومخاطر تتطلب حذقاً وعلماً فوق العادة.. ومع ذلك يوجد مـــن الساســـة المصلحين والعلماء الأفذاذ من يتفانى لإصـــلاح الأوضـــاع السياســـية والعلمية، رغبة في إصلاح المجتمع أولاً وأخيراً.

ولما كانت السيرة الذاتية "دليلاً مرشداً قيّماً للأخـــلاق والعـــادات السائدة في العصور والمجتمعات التي نشأت فيها"[1]. اكتسبت الســـيرة الذاتية على اختلاف دوافع كتابتها قيمة فكرية، كونها شـــمعة تضـــيء لغيرها الطريق الذي سلكه صاحبه، دون بصيص نور يُرشده سوى أمله ورجائه بأعماقه المتوهجة،فإذا تضافرت بعد ذلك خبراته ونضج العقـــل واكتملت رؤيته، صاغ حياته في أي شكلٍ أدبي، لإنارة الطريـــق هـــذه المرة بنفسه، وقد أصبح علماً في بيئته ومحيطه. ومع ذلك أيضـــاً فـــإن أضواء الشهرة وبريق النجاح والمجد قد لا تتأتى لكل متنـــور وخبيـــر، والأهم – في رأيي– الرغبة الكامنة لنقل الخبرات والمكتسبات المعرفية للآخرين كحرزٍ ثمين يحرص صاحبه بتسليمه لمن بعده، تســـتفيد منـــه الأجيال جيلاً بعد جيل.

---

(١) أدب السيرة الذاتيـة. عبـدالعزيز شـرف. الشـركة المصـرية العالميـة للنشـر، القـاهرة ط١/ ١٩٩٢م ، ٤٦.

openkanal.com

ولاشك بإن إصلاحات السياسة الداخلية للمجتمع عن طريق سنّ الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية، ليست سوى هندسة المجتمع لتطوير وإحياء فعالياته.

وتسبق الثقافة، الرؤية النهضوية السليمة لكل من السياسة والاقتصاد و التعليم، ونحوها من أضلاع الحياة الملتحمة لتكوين المجتمع ونهضته.

من هنا كان من المهم ألاّ يقوم بتدبير شئون المجتمع إلا من اتصف بمرجعية ثقافية متينة، مرجعية تحمل الرؤية / الإلهام، لرفعة المجتمع وتطوره.

وها هنا اقتصادي مصري أصيل، إنه **جلال أمين**[1]

عاصر جلال أمين فلسفات فكرية واقتصادية كبيرة، وبرع واشتهر في مجاله، كمنظر اقتصادي بارز، و مؤلفاته ومحاضراته كثيرة في جميع بلدان العالم. إلا أن الذي لفت انتباهي في سيرته الذاتية (ماذا علمتني

(١) جلال أمين: جلال الدين أحمد أمين (١٩٣٥-) المنظر الاقتصادي البارز، وهو ابن الأديب أحمد أمين، نشأ جلال أمين في بيت علم وأدب ، درس في كلية الحقوق بجامعة القاهرة. ثم واصل دراسته العليا في مجال الاقتصاد ، وبرز كأستاذ لمادة الفكر والاقتصاد ،وقد عمل في أشهر الجامعات العالمية ،وله عشرات المؤلفات المترجمة في الفكر الاقتصادي ومشاكل مصر الاقتصادية والمذاهب المعاصرة.
من مؤلفاته: ماذا حدث للمصريين ، كشف الأقنعة عن نظر التنمية الاقتصادية ،العولمة والتنمية العربية.
انظر سيرة حياته: ماذا علمتني الحياة. دار الشروق ، القاهرة ط ٥/ ٢٠٠٩م.

obeikandl.com

الحياة) رغبته الصادقة في تقدم أمته أمة الإسلام، بتفعيل الجانب العلمي النهضوي على أنه لا يشترط بالضرورة أن يكون دافعه الأوحد لكتابة سيرته الذاتية دافعاً اقتصادياً محضاً.

فبعد قراءاتي لهذه السيرة الممتعة، وبعض مؤلفاته الأخرى ذات الصلة، شعرت برغبتة القوية في توضيح رؤيته وخلاصة معارفه في المجتمع والاقتصاد والفكر، لاستخلاص ثمرات علمه في إعادة الهيكلة الاقتصادية للمجتمع الإسلامي، وتنميتها وفق رؤية تقدمية سليمة.

ومن رؤاه الفلسفية في الفكر الاقتصادي، تساؤله مثلاً عن مدى صحة التعريف الغربي للمشكلة الاقتصادية، هذا التعريف " الذي نقلناه حرفيا دون أية مساءلة، حيث تعرف هذه المشكلة بأنها مشكلة التوفيق بين الموارد المحدودة والحاجات غير المحدودة، إذ إننا نرى في وصف الحاجات الإنسانية بأنها حاجات غير محدودة محلاً للنظر يستحق التوقف والتساؤل. فلماذا نفترض مثلاً ونقبل كمسلمة من المسلمات أن الحاجات الإنسانية لانهائية، وأن الاختيار المتاح أمامنا هو إما تنمية الموارد أو إعادة توزيعها بين الحاجات دون أن نسمح لعالم الاقتصاد بمناقشة هذه الاحتياجات نفسها، من حيث مدى جدارتها **واستحقاقها** "[1]

(١) تنمية أم تبعية اقتصادية وثقافية ؟ جلال أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٥م ، ٩٧.

obeikandi.com

فقد أدرك الكاتب أن موضوع اختلاف الثقافات والأذواق و التقاليد والعادات له جذور بعيدة في التاريخ و اللغة والجغرافية، مما ينعكس فيما يمكن تسميته بنوعية النظرة إلى الحياة. (١)

وقد تناول جلال أمين موضوع حركة التنمية في الدول النامية، وناقشت مؤلفاته أسباب التعثر المتكرر لتلك الدول عن النهوض باقتصادياتها.

ونشر في أوائل السبعينيات الميلادية بحثاً بعنوان **تحديث الفقر**، درس فيه تجربة تسع دول عربية في التنمية خلال ربع قرن، ووصل إلى أنه بدلاً من تخفيض الفقر فيها حدث ما يشبه إلباس الفقر رداءً حديثاً(٢).

والمطلوب هو تحقيق التقدم الاقتصادي، وهذا لن يكون بترديد المقولات الغربية لمعالجة المشاكل الاقتصادية، في عالم الإنتاج والصناعة والاستثمار.(٣)

ولعل الكاتب هنا يرسم منهاجاً تنظيرياً لرؤيته الاقتصادية، بعدما تشبع من الدراسة والتدريس في هذا العلم الضروري لنهضة أية أمة. وقد

---

(١) انظر: ماذا علمتني الحياة ، جلال أمين ٣٠٨
(٢) انظر: المصدر السابق ٣١١.
(٣) انظر: المصدر السابق ٣١١.

obeikandl.com

أدرك بخبرته الطويلة لفلسفة الاقتصاد الحديث عقم بعض أشهر المعتقدات الرئيسة لأساسيات هذا العلم، و لاشك عندي بأن خلفيته المسلمة أسهمت بدرجة ما في تبصيره بثغرات فلسفة الاقتصاد الحديث. وهو هنا لايتبنى أساساً جاهزاً ومستورداً لعلم الاقتصاد، بل يقوّض بعض أهم الدعائم النظرية المتداولة كمسلمات بدهية. والجدير بالذكر معرفة أن جلال أمين قد حوصر ومنع من التدريس في بعض أشهر جامعات العالم، من قِبل بعض المتنفذين الصهاينة أو ذوي الميول الصهيونية. وهو يحمل في جعبته الفلسفية لهذا الجانب الخطير في حياة الأمم جوانب إشراقية مهملة ومهمة، استفادت منها المناهج الدراسية في جامعات عربية وغربية.

obeikandl.com